كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ
رئيس جامِعة القِدّيس يوسف في بيروت
في ندوة حول التجديد اللاهوتي في فكر المطران جورج خضر
يوم الجمعة 1 كانون الأوّل 2023
في معهد الدراسات الإسلاميّة المسيحيّة

أن تنبري مؤسّسة جامعيّة ذات الأصول الكاثوليكيّة اليسوعيّة في تنظيم هذه الحلقة الدراسيّة لتكريم المطران جورج خضر، والآتي من الأفق الكنسيّ الأرثوذكسيّ، فذلك يعني أنّ فكرَ هذه القامة الجليلة في مئويّتها من العمر قد تخطّى حدود هذه الجماعة أو تلك، ليُستقبل في الردهات الأكاديميّة لاسترجاع تلك الثوابت والحقائق والخطوط العميقة التي صاغها صاحب الكلمة القويّة.

كثيرةٌ هي الصفات التي أُطلِقَت على صاحب التكريم في ختام مئويّته الأولى أدامَ الله عمرَه.

إنّه مطران الحريّة إذ لم يَحِدْ عن أغنية الحبّ والحريّة التي في قلب الله؛ والظَفَرُ لا يكون إلاّ بالحريّة وإن كانت مطعونة. يقول : " في الصليب يَغدو أحدُنا حبيب الآخَر بعدما أحبّنا يسوع أوّلاً واستجَبنا لحُبِّهِ بالطاعَة، أي في الإصغاءِ لحُبِّهِ ومبادلتِه الحُبَّ بالحُبّ. وإن خَضَعتَ لِبَشر، فلْتَتوفّر لديك الدلالاتُ على أنّهم خاضعونَ لِربِّهِم". وعند سيادته، تتأسَّسُ الحريّةُ على فنّ الإصغاء إلى يسوع، أي الحَقِّ والحبّ، فنعرف كيف أنّ الطاعة لله هي دافعُ السلام، وعندما نخضع للحقّ فنحن لسنا عبيداً لأحد، وكلُّ علاقةٍ لنا بالناس يحكمها قول الإسلام " لا اله إلاّ الله " وهو قولنا جميعاً.

وفي هذه الأيّام التي نستعيد فيها فلسطين الجريحة، نتذكّر أنّ جورج خضر عُرِفَ بأنّه مؤسّسُ اللاهوت العربيّ بشأن فلسطين، حيث تطرَّقَ مرّاتٍ ومرّات إلى القضيّة الفلسطينيّة منذ الستّينيَّات في القرن الماضي، فصَدَرَ له كتاب بعنوان: "فلسطين المستعادَة" (1969)، وكتاب ثانٍ بعنوان: " القدس" (2003)، قدّم له الشاعر الفلسطينيّ محمود درويش. إنّ القضيّة الفلسطينيّة عنده قضيّة أخلاقيّة أساساً، حيث إنّ إسرائيل حُبِلَ بها بالإثم ووُلِدَت بالخطيئة، ورَفْضُ الكيان الإسرائيليّ هو رفضٌ روحيّ، رفْضٌ للظلم، ولا مصالحة مع الظلم. وإذا كانت فلسطين تحمل رمز القدسيّات، فإنّ القدسيّة الأولى التي لا بدّ من الدفاع عنها هو الشعب الفلسطينيّ. لذا، فإنّ همّ جورج خضر الأوّل،

النابع من موقف الانجيل، هو الإنسان الفلسطيني، فلا استعادة للأرض من دون استعادة للإنسان وشرفه.

يربطُ المطران خضر ما بين دم يسوع ودم فلسطين فيقول : "لا أستطيع أن أعزل دم فلسطين عن دم يسوع. أنا مع فلسطين الجريحة لأنّي آتٍ من جنبه. وليس هناك من دارٍ للمسيحيّة، بل هناك دار المسيح فقط، ودار المسيح هي كلّ مكان يُهتَفُ فيه باسم يسوع المسيح".

ومِن موضوعات هذه الندوة، موضوع الرعاية في فِكر المطران جورج خضر، وواقع أن سيادته الذي بَرَعَ في صياغةِ الأفكار وفي حياكتِها التجريديّة، وفي بسطه للمقامات الصوفيّة، يبقى وقبل أيّ شيء آخَر خادماً للكلمة الإلهيّة بين شعبه ومن أجل شعبه ليتكوّن شيئاً فشيئاً بحسبِ مُقتضياتِ الإنجيل. يقول سيادة المطران : "نحن الكهنة، مبرّر وجودنا هو غسل الأرجل، أرجلَ المساكين والمهمّشين، وحتّى أرجل المتكبّرين الذين هم بحاجة إلى مَن يَغسِل قلوبهم وأفكارهم ليعودوا إلى الصواب وإلى الطيبة والتواضع".

إنّ هاجس المطران جورج –إن كان ذلك في حركة الشبيبة الأرثوذكسيّة النهضويّة التي لم تكن مجرّد حركة كشفيّة وتقويّة بل تعليميّة وفكريّة أيضاً، أو في الرعايا التي خدمها، وكذلك على رأسِ أبرشيّته–، هو أن يكون خادماً للوجوه الثلاثة التي تتكوّن منها الرعاية، أي الكلمة والأسرار والفقراء، وأن يَكشِفَ الكلمة لنفسه وللآخرين. ذلك كان مسعاه وغايته، ولذلك نراه مفكّراً وكاتباً وواعظاً ومعلّماً، بغية أن تتناول الجماعة المسيحيّة الكلمة الواحدة، والكأس الواحدة، فتكون شاهدة للمسيح يسوع الحيّ المنتصِر على الخطيئة وعلى الموت.

لا أبغي في كلمتي هذه أن أقدّم دراسة عن أوجه فكر المطران خضر في العديد من القضايا مثل المسكونيّة والعلاقة بالإسلام ورؤيته للحالة اللبنانيّة والحوار بصفته مهمّة فلسفيّة، بل أن أوجّه التحيّة من الفكر والقلب لجميع المحاضرين الذين سوف يدلون بدلوهم، وكذلك لمنظّمي هذا اللقاء المسكوني الجامع من كليّة العلوم الدينيّة، ومن معهد الدراسات الإسلاميّة المسيحيّة في جامعتنا العزيزة التي ترقى بشغفٍ إلى عيد تأسيسها ال 150 سنة، إذ تأسّسَت في السنة 1875.

ولا بدّ هنا أن نذكر لقاءاتنا في الثمانينيّات من القرن الماضي، لقاءاتنا المنتظمَة اللاهوتيّة مع سيادته في بلاترس قبرص حول بعض القضايا الإيمانيّة المشتركة، مثل التعبير عن الثالوث الأقدس بلغة العصر العربية، وكان فيها المطران جورج إلى جانب الصديق الرئيس طارق متري المحرّك الرئيسيّ للمجادلة الفكريّة المسكونيّة؛ وأذكر أيضاً لقاءَنا مع الأب يواكيم مبارك، والأستاذ ميشال أسمر مؤسّس الندوة اللبنانيّة حيث كان الحديث يتمدّد من مركزيّة الشهادة اللبنانيّة ليسوع المسيح وكنيسته إلى إنطاكية والجامعة للجميع في تعدّديّتهم وتلاقيهم.

لا أقول ماذا بقي من فكر جورج خضر، بل أسأل أين أصبح فكر هذا اللاهوتيّ الكبير في جسد الكنيسة المشرقيّة ؟ بعض المتشائمين يقول إنّ المشروع فَشِل، إلاّ أنّ أيّ مشروع قام على كلمة الله وتغذّى منها لا يعرف الفشل، بل إنّ الحياة في الرب هي صراع وكفاح ومجاهدة للقاء الحبيب.

جورج خضر، عِشتَ كبيراً في قلبكَ وعاطفتِكَ، كبيراً من أجل كنيسة الربّ يســوع !

أعطاكَ الله العمرَ المديد.